



اليهود...

في السينما المصرية

امتاز المجتمع المصري حتى أربعينات القرن الماضي، بالتنوع الديني والثقافي، ولم يكن مستغرباً أن يعيش المسلم إلى جانب المسيحي واليهودي في سلام، وينتصر الجميع في بوتقة واحدة.

أقنع هذا التنوع بظلاله على السينما المصرية، التي لم تخل من نجوم اليهود، إلا أن احتلال فلسطين، وقيام إسرائيل والصراع العربي معها، وما ارتبط به من حروب بينها وبين مصر منذ العام 1948 حتى العام 1973، كانت بمثابة الصّدع بين يهود مصر وبقيّة الشعب.

شهدت فترة الخمسينات والستينات وجود مجموعة كبيرة من الجواسيس اليهود المصريين، الذين عملوا لصالح العدو الإسرائيلي، وكان معظمهم من نجوم الفن والمجتمع، وهاجر كثير منهم إلى إسرائيل أو الولايات المتحدة وأوروبا، ورغم ذلك كانت هناك مواقف وطنية مشرفة للأحزاب منهم، إذ رفضوا مغادرة مصر، وظلوا فيها حتى وفاتهم. في حلقات "اليهود في السينما"، التي تنشرها "السياسة"، نسلط الضوء على نخبة من مشاهير الفن، الذين كانوا من أصل يهودي، وعلى ما قدموه في رحلتهم مع الفن والحياة.

الحلقة الحادية عشرة

القاهرة - ريهام عبدالوهاب:

كان جمالها فاتناً يخطف القلوب والأبصار، حتى إن الفنان الراحل نجيب الريحاني وصفها بـ"مهجة القلب"... إنها الفنانة اليهودية سالحة قاصين، أول ممثلة تقف على خشبة المسرح، فحالت شهرة واسعة في عالمه، بعد أن تألقت على خشبته في عز صباها وجمالها، إلا أن ذلك لم يكن حالها في السينما، لأنها أقيمت عليها في خريف العمر، بعد أن ذبل جمالها حتى أن جمهور الناشئة الكبيرة كان يصفها بـ"العجوز الخرفاء"، ولم تكن سالحة هي الوحيدة في أسرتها التي اشتهرت الفن، بل كان لها شقيقة تصغرها بنحو 22 عاماً، كانت تصطحبها معها في كل بروفاتها، وعشقت جراسيا، هي الأخرى التمثيل ونجحت في أن تشارك في أعمال عدة بأدوار "كوميديا" لتمتعت التمثيل مثل شقيقتها "سيدة المسرح الأولى"، وإن كانت جراسيا لم تنل شهرة شقيقتها الكبرى سالحة، التي حققت نجاحاً كبيراً في المسرح، ومحدوداً في السينما.

ولدت الفنانة سالحة قاصين، في مايو 1878، لعائلة يهودية عاشت في سلام ووثاق بين شوارع القاهرة، وكانت سالحة فائقة الجمال، عندما راها محمود حجازي شقيق الفنان سلامة حجازي، عرض عليها على الفور المشاركة معهم في التمثيل، ولم يكن يعلم أنها ستعادل عندما تقف على خشبة المسرح تلك الشهرة الكبيرة وتصبح "سيدة المسرح الأولى".

بدأت سالحة، فطوتها الأولى مع التمثيل وهي في السادسة والعشرين من عمرها، وتحديدًا في العام 1904، من خلال مسرحية "خشبة الغاوية" مع فرقة سلامة حجازي، لتصبح أول امرأة تقف على خشبة المسرح، وتكسر احتكار الرجال للمسرح والتمثيل، بعد إسناد أول دور نسائي لها، إذ كان الرجال يودون قبل ذلك الأدوار النسائية متكررين في ملابس نساء، بسبب رفض العائلات المصرية سواء المسلمة أو المسيحية وحتى اليهودية امتحان بناتهن العمل بالتمثيل أو مهنة "المشخصاتية" كما كان يطلق عليها وقتها، فقد كان المجتمع يرى أن الفن عيب، رغم حب الكثيرين له ومرصمهم على حضور الأعمال الفنية والاستمتاع بها.

شهرة وثروة

كان لوقوف سالحة قاصين، على خشبة المسرح، مردوداً كبيراً، إذ عشقها الجمهور من أول لإطلاعه لها، ونالت شهرة واسعة وذاع صيتها، وكان الجمهور يستقبلها يومياً بالتصفيق الشديد، فقد أغرم أيضا جمالها الفاتن، ووصل نجاح سالحة، على خشبة المسرح بحصولها على راتب كبير شهريا بلغ 100 جنيه ذهبي، أي أنها حققت منذ بدايتها الأولى، الشهرة والنجومية والثروة معا. رغم أن البداية الفنية للفنانة سالحة، كانت من خلال فرقة الشيخ سلامة حجازي، إلا أن نجاحها الكبير جعل العروض تنهال عليها من فرق مسرحية منافسة، وبنات كل فرقة مسرحية تسعى لأن تكون سالحة قاصين بطلا في عروضها، لذلك انتقلت سالحة بين الفرق المختلفة ومن بينها فرقة إسكندر فرح، فرقة عزيز عيد، فرقة علي الكسار، وأيضا فرقة حسن فائق، فرقة جورج أبيض، وصولا إلى مسرح نجيب الريحاني لتبدأ قصة حب كبيرة.

الحب الأول

مثلما كانت سالحة قاصين، أول امرأة تقف على خشبة المسرح في مصر، فقد كانت أيضا الحب الأول في حياة الفنان نجيب الريحاني، الذي وقع في غرامها من أول لقاء جمع بينهما حين اتفق معها على العمل في فرقة المسرحية، ومن بعدها هام بها عشقا، لدرجة أن الجميع كانوا يلتمسون غيرته الشديدة عليها، بل أن الصحف حينها كان تفرد صفحات لسرد القصص المتداولة عن تلك العلاقة الغرامية بين الريحاني وقاصين، ويقال أن هذا الحب لم يكال بزواج بسبب اختلاف الديانة، فقد كان الريحاني يدين بالمسيحية بينما سالحة تدين باليهودية.

ويؤكد قصة الحب بين الريحاني وسالحة، ما جاء في مذكرات نجيب الريحاني، نفسه عندما وصفها بأنها حبه الأول وأشار لها بلقب "مهجة القلب السيدة ص"، وقد استمرت قصة الحب بينهما فترة من الزمن، ورغم اختلاف الديانة بينهما فهناك بعض الروايات التي تنقل قصة حب الريحاني لبطلة فرقة سالحة، تفيد بأنه ذهب فعلا إلى عائلتها لطلب يدها للزواج، لكن عائلتها رفضت بسبب غيرة الريحاني الشديدة عليها حتى من المعجبين، وأن هذه الغيرة كانت دوما من أهم أسباب الخلاف بينهما، كما أنها حالت دون أن تكتمل قصة حبهما وتكمل بالزواج، لينتهي الأمر في النهاية بأن يعزج كل منهما من آخر، فقد تزوجت سالحة ثلاث مرات، لكنها لم

شقيقتان... إحداهما فضّلت البقاء في مصر والأخرى باعت نفسها لإسرائيل

"مهجة القلب" سالحة قاصين... تقاضت

100 جنيه ذهبي وكسرت احتكار الرجال التمثيل

عانس ضعيفة السمع، بينما كانت آخر مشاركتها في فيلم "شهر

عسل بصل" العام 1960 وكانت في الـ82 من عمرها.

عاشت سالحة في مصر حتى وافتها المنية في 9 أبريل 1964، عن عمر يناهز 85 عاماً، وهي على عكس شقيقتها الصغرى جراسيا التي كان حالها كحال أغلب اليهود في مصر ممن سافروا إلى إسرائيل بعد حرب فلسطين 1948، فقد هاجرت في الخمسينات بفعل الضغوط التي تعرضت لها من الطائفة اليهودية، لكنها ظلت لسنوات تقاوم بسبب رفض شقيقتها السفر إلى إسرائيل، فعاشت جراسيا صراعا شديدا بين الرغبة في الهجرة وبين البقاء مع شقيقتها سالحة، التي تحبها ولم تتخل عنها يوما، إلا أنها بعد محاولات عدة منها لإقناع شقيقتها سالحة بالسفر معها ففشل في إقناعها، فما كان منها إلا أن قررت الهجرة دون شقيقتها، ما جعل البعض يردد وقتها بأن رفض سالحة الذهاب إلى إسرائيل مع جراسيا كان بسبب دخولها الإسلام، في حين سافرت جراسيا، وعاشت في إسرائيل حتى أعلن عن وفاتها في ديسمبر 1977، عن 77 عاماً.

ونشر كتاب "اليهود والسينما في مصر والعالم العربي"، للكاتب أحمد رأفت بهجت، جزءاً من حوار سالحة قاصين، لجريدة الجمهورية المصرية، تقول فيه، "أنا متبرجة من أختي، فتراب مصر أفضل عندي من كل بقاع العالم". ويوضح الكاتب أحمد رأفت بهجت، بأن الضغوط الاجتماعية والعائلية ربما كانت السبب وراء هجرة جراسيا قاصين، دون رغبتها الحقيقية في الهجرة، مؤكداً أن شقيقتها سالحة، تزوجت من مسلم وكانت عائلة وأبناء، بينما ما انفارت الهجرة إلى إسرائيل، مثلما حدث مع سريينا إبراهيم شقيقة الفنانة نجمة إبراهيم، فقد سافرت الأولى إلى إسرائيل بينما فضلت نجمة البقاء في مصر وظلت كذلك حتى وفاتها.

زواج مختلط

إن إصرار الفنانة سالحة قاصين، على البقاء في مصر وعدم الهجرة إلى أرض الميعاد، مثل شقيقتها جراسيا، التي تهرت منها بعدما هاجرت إلى إسرائيل في خمسينات القرن الماضي، جعل البعض يظن ما تردد عن دخولها الإسلام قبل وفاتها بنحو 35 عام، أي قبل حرب فلسطين وقيام دولة إسرائيل، لكنها أيضا لم تقم بإظهار إسلامها وأقنعت ذلك، ويؤكد ذلك ما جاء في كتاب "اليهود والسينما في مصر والعالم العربي"، حيث أشار الكاتب والباحث أحمد رأفت بهجت، في جزء الخاص بـ"الزواج المختلط" بأنه لم يكن هناك أية تحميات اجتماعية تجبر اليهوديات على تغيير ديانتهم، لأن وجود اليهود في ذلك الوقت كان مألوفاً، موضحاً أن البعض ظل محتفظاً بيهوديته رغم الزواج من غير اليهودي، وهناك بعض الفنانات اللاتي اعتنقن الإسلام بعد زواجهن، على سبيل المثال الفنانة نجمة إبراهيم والفنانة سالحة قاصين، ويذكر أنهما دخلتا الإسلام ولكن بشكل غير معلن، وظل الأمر سرا بينها وبين زوجها وعائلتها الصغيرة.

معروف إن "دوام الحال من الممال"، والفنانة التي بلغت قمة الشهرة في المسرح وكان الجمهور يقبل على كل فرقة تعمل فيها، حتى أنها كانت تتقاضى 100 جنيه ذهبية شهريا، وهو مبلغ كبير جدا بصيابات ذلك الوقت، كل هذا الثراء لم يتحقق منه شيء لتعيش منه في آخر أيامها، حيث أصيبت الفنانة سالحة قاصين بالزهايمر، ما جعل صناع الفن يتعدون "سيجارة وكاس" مع سامية جمال وكوكا، "بنات الليل" مع مديحة يسري وكمال الشناوي، "طاهرة" مع مريم فخر الدين ومحمود إسماعيل، مع الأيام" مع ماجدة وعما حمدي، "الشيطانة الصغيرة" مع أحمد رمزي ويوسف فخر الدين، "إسماعيل يس في مستشفى المجانين" مع إسماعيل يس، "لوكاندة المقابلات" مع هند رستم وإسماعيل يس، "بياعة الورد" مع تحية كاريوكا ومحسن سرعان.

ويعد الأشهر على الإطلاق من بين أعمال سالحة السينمائية فيلم "لوكاندة المقابلات" مع إسماعيل يس، الذي كانت تمثل فيه دور

إيمان وأحمد رمزي، الذي كان آخر عمل تشارك فيه العام 1956.

"ضحكات القدر"

أما سالحة قاصين، فقد شاركت في ضعف عدد الأفلام، التي شاركت فيها شقيقتها جراسيا وكانت أدوارها أكبر إلى حد ما، لكنها لم تصل إلى البطولة، على غرار نجاحها وتألقها في المسرح، ربما لأنها حينها كانت لا تزال في عتاف شبابها وميوبتها علاوة على أنها أيضا كانت هي البطلة الأولى للعروض التي تنافس الرجال. ومن أشهر أفلام سالحة قاصين "خفير الدرك" مع علي الكسار، "أنشودة الراديو" مع ماري منيب، "الأبيض والأسود" مع فوزي منيب، "دنانير" مع كوكب الشرق أم كلثوم، "انتصار الشباب" مع أسهمان وفريد الأطرش، "على مسرح الحياة" مع حسين رياض وفردوس محمد، "قصة غرام" مع زكي رستم، "السوق السوداء" مع عقيلة راتب وعماد حمدي، "البنّي آدم" مع بشارة واكيم وسامية جمال، "شهرزاد" مع حسين صدقي وإلهام حسين، "أول نظرة" مع صباح وبران صادق، "الماضي المجهول" مع ليلى مراد وأحمد سالم، "قلبي دليلي" مع ليلى مراد وأنور وجدي، "حياة حائرة" مع محمود المليجي والسيد بدير.

وشاركت أيضا في فيلم "عفوية هانم" مع فريد الأطرش وسامية جمال، "أوعي المحفظة" مع محمود إسماعيل وتحية كاريوكا، "المجنونة" مع ليلى مراد ومحمد فوزي، "إلهام" مع ماري كويني ويحيى شاهين، "على كيفك" مع ليلى فوزي وتحية كاريوكا، "صورة الزفاف" مع فيروز، "حلال عليك" مع إسماعيل يس وإلياس مودب، "نساء بلا رجال" مع ماري كويني وهدي سلطان، "شريك حياتي" مع حسين رياض وأمينة زرق، "وعد" مع مريم فخر الدين، "عروسة المولد" مع تحية كاريوكا، "جعلوني مجرماً" مع فريد شوقي وهدي سلطان، "بنات حواء" مع محمد فوزي ومديحة يسري، "أمريكاني من طنطا" مع حسين رياض، "ضحكات القدر" مع قوت القلوب ووزوز نجيل، "سيجارة وكاس" مع سامية جمال وكوكا، "بنات الليل" مع مديحة يسري وكمال الشناوي، "طاهرة" مع مريم فخر الدين ومحمود إسماعيل، مع الأيام" مع ماجدة وعما حمدي، "الشيطانة الصغيرة" مع أحمد رمزي ويوسف فخر الدين، "إسماعيل يس في مستشفى المجانين" مع إسماعيل يس، "لوكاندة المقابلات" مع هند رستم وإسماعيل يس، "بياعة الورد" مع تحية كاريوكا ومحسن سرعان.

ويعد الأشهر على الإطلاق من بين أعمال سالحة السينمائية فيلم "لوكاندة المقابلات" مع إسماعيل يس، الذي كانت تمثل فيه دور

تكن سعيدة إلا في زيجتها الأخيرة، كما ذكرت بنفسها، والتي دامت نحو 11 عاما حتى وفاة زوجها.

خريف العمر

حينما اعتلت سالحة قاصين، خشبة المسرح للمرة الأولى مع فرقة الشيخ سلامة حجازي، كان عمرها 26 عاماً، بينما تأخر دخولها إلى السينما لتشارك فيها للمرة الأولى وهي في الثامنة والخمسين من عمرها، حيث كان جمالها قد ذبل مع السنوات وأصبحت في خريف العمر، لتقتصر أدوارها في الأفلام على المرأة العجوز القبيحة أو التي تعاني من العنوسة وضعف السمع والبصر.

كان أول فيلم سينمائي شاركت فيه سالحة هو "خفير الدرك" من إخراج توغو مزراحي، وبطولة علي الكسار وبهيجة المهدي، وسجل هذا الفيلم أيضا الظهور لأول لشقيقتها الصغرى جراسيا قاصين، وكانت حينها في السادسة والثلاثين من عمرها.

كانت جراسيا، على عكس سالحة، فلم تبدأ من خشبة المسرح وواجه دخولها إلى السينما من خلال شقيقتها الكبرى، التي لم تكن تتعد أدوار جراسيا في السينما الأدوار الثانوية، فقد كانت تطل في مشاهد صغيرة لا تتعدى الدقائق القليلة، إذ كانت محدودة الموهبة والحضور ولا تتمتع بجمال جراسيا بخلاف سالحة، التي كانت في صباها فائقة الجمال.

ونظراً لضعف موهبة جراسيا، اقتصرت مشاركتها السينمائية على 18 فيلماً كما جاء في موسوعة السينما المصرية للمورخ السينمائي محمود قاسم، وتضم "انتصار الشباب" بطولة أسهمان وفريد الأطرش، "لعبة الست" بطولة تحية كاريوكا ونجيب الريحاني، "الماضي المجهول" بطولة ليلى مراد، "أحمر شفايف" بطولة نجيب الريحاني وسامية جمال، "قلبي دليلي" بطولة ليلى مراد وأنور وجدي، "البريمو" بطولة محمود شكوكو، "حو المجد" بطولة فائق حمامة وحسين صدقي، "فاطمة وماريكا وراشيل" بطولة محمد فوزي ومديحة يسري، "عفوية هانم" بطولة فريد الأطرش وسامية جمال، "شارع الجهولان" بطولة كاميليا وكمال الشناوي، "المصري أفندي" بطولة حسين صدقي ومديحة يسري، "الآنسة ماما" بطولة صباح ومحمد فوزي، "من غير وداع" بطولة مديحة يسري وعماد حمدي، "إسماعيل يس في بيت الأشباح" بطولة إسماعيل يس، "على كيفك" بطولة ليلى فوزي وتحية كاريوكا، "المنتصر" بطولة تحية كاريوكا، "ظلموني الحبايب" بطولة صباح وعماد حمدي وأخيراً "وصل من الماضي" بطولة



جراسيا في أحد أفلامها



سالحة قاصين

عرض "ضحية الغاوية" جعلها "سيدة المسرح الأولى" في 1904

اكتشفها فنياً سلامة حجازي ورفضت الزواج من نجيب الريحاني

جميلة "أبو الفنون" انحصرت أدوارها في الأفلام بين "العانس والعجوز"

عانت من الزهايمر وتولت رعايتها حتى وفاتها جورج ودولت أبيض

جراسيا هاجرت مع أبناء الطائفة لأرض الميعاد فتبرأت منها أختها